

المحاضرة الرابعة: التطور الحركي خلال مرحلة الطفولة

على مر العصور اهتم الباحثون في مختلف المجالات بدراسة حياة الطفل ونموه وتربيته، وأكد العلماء أن الطفل ليس بمثابة رجل صغير بل له شخصيته النفسية المتميزة وأن نموه في المراحل الأولى من حياته يتم بفضل التنشيط الفعال للحواس وتزويده بالخبرات الصحيحة وذلك من خلال الحركة. لكن من منطلق بعض المعتقدات الفلسفية التي اعتبرت الجسم كيانا ماديا أقل شأن من العقل، ظلت التربية ولعصور طويلة تعمل من أجل العقل وترفع من شأنه على حساب الجوانب الحركية والبدنية في الشخصية الإنسانية، وأقر الإسلام أن اللعب طبيعة فطرية عند الطفل لينمو جسمه نموا طبيعيا بشكل قوي، وأكدت عدة مواقف في عهد الرسول (ص) والسلف الصالح عن اهتمام الدين الإسلامي بالتربية البدنية للطفل لتحقيق النمو المتكامل.

واهتم كذلك العديد من التربويين منذ مطلع القرن (17) بعملية النمو عند الطفل بصورة شاملة، إلا أن الاهتمام بالنمو الحركي لم يكن بطريقة مباشرة ولم يكن مركز الاهتمام، ولكن يجب الإشارة أن الفترة ما بين القرن (17) وبداية القرن (20) كانت بمثابة فترة تمهيدية لدراسة النمو الحركي عند الطفل وذلك بفضل تقديم العديد من المعلومات القيمة عن تغيرات السلوك الحركي عند الرضيع.

في بداية الثلاثينات من القرن (20) بدأ الاهتمام بدراسة عامل النضج نظرا لأهميته البالغة في تحقيق النمو عند الطفل، وبرزت خلال هذه الفترة أعمال كل من "جيزل" (Gesell) عام (1928)، "ومك جرو" (Mc Grow) عام (1935) هذان الباحثان لهما دور كبير في تطور مجال النمو الحركي، وتيقن المهتمون بتربية الأطفال أن النمو البدني والحركي له أهمية كبيرة في التنمية الإدراكية والمعرفية للطفل، وتزامن ذلك بمرحلة الاهتمام بالنمو الإدراك الحركي وذلك في نهاية الستينات من القرن (20) فترة الاهتمام بالنمو الحركي كعملية للتعرف على العوامل المسؤولة عن النمو.

1. المفاهيم الأساسية للنمو الحركي:

الطفل ليس ببساطة صورة مصغرة للبالغ فقط، فالطفل له حاجات وقدرات خاصة، وأحد أهم المشاكل المتعلقة بالرياضة لدى الطفل هي فقدان ونقص المعارف لدى المدربين والوالدين عن نمو وتطور الطفل، هذا الإهمال يضع آمال غير واقعية عن الطفل مما يدفعه غالبا إلى ترك والابتعاد عن ممارسة الرياضة.

2. ماهية النمو:

* يعرف فاحر عاقل النمو بأنه: تغيرات البناء والشكل التي تحدث أثناء انتقال العضوية الفردية من أصلها إلى نضجها، ويستعمل المصطلح أيضا للدلالة على نمو اللغة والفهم والمهارة.

* كما يعرفه عبد الرحمن عيسوي: إن النمو هو سلسلة متتابعة من التغيرات التي تسير نحو اكتمال النضج، فهو إذن ظاهرة طبيعية وعملية مستمرة تسير بالكائن الحي نحو النضج.

* فيما يرى محمد حسن علاوي بأن: النمو يشير إلى تلك العمليات المتتابة من المتغيرات التكوينية والوظيفية منذ تكوين الخلية الملقحة وتستمر باستمرار حياة الفرد.

* وينظر إليه Fernand HOTYAT بأنه: مجموع التطورات الملحوظة في سلوك الطفل خلال زمن محدد.

3. مفهوم النمو:

النمو هو سلسلة متتابة متماسكة من تغيرات تهدف إلى غاية واحدة وهي اكتمال النضج، وللمنمو مظهران رئيسيان هما: النمو التكويني (Structure) والنمو الوظيفي (Function).

* ويقصد بالنمو التكويني:

البناء والشكل الجسماني من حيث: الوزن، الطول، العرض والمحيط.

* كما يقصد بالنمو الوظيفي:

التغيرات التي تتناول الوظائف الجسمية والحركية والعقلية والاجتماعية لتساير تطور حياة الفرد واتساع نطاق بيئته. إن النمو الإنساني هو جملة من التغيرات المتسلسلة والمتكاملة خلال حياة الناس، وينقسم بشكل عام إلى النمو التكويني الذي يبدأ بتلقيح البويضة في رحم الأم ومن ثم تبدأ التغيرات المتسلسلة سواء من المظهر الخارجي (الطول، الوزن) أو داخليا كنمو الأعضاء الداخلية، نجد كذلك النمو الوظيفي وهو نمو الوظائف الجسمية والعقلية والاجتماعية لتساير تطور حياة الفرد.

4. النمو الحركي:

أحد أبعاد النمو الهامة، التي تهم المربي الرياضي بصفة خاصة، ويعني مجموعة من التغيرات التي تسير حسب أسلوب ونظام مترابط متكامل خلال حياة الإنسان، ولكن وجه الاختلاف هو مدى التركيز على دراسة السلوك الحركي (النمو الجسمي، المهارات الحركية، القدرات البدنية) والعوامل المؤثرة فيه.

وعندما يعرف النمو الحركي كنوع من التغيرات التي تطرأ على السلوك الحركي مع مرور فترة زمنية معينة فإن التركيز يوجه نحو الأداء الحركي، وينظر للنمو الحركي عندئذ باعتباره نوعا من الحصائل أو النواتج، ومثال ذلك قياس مسافة الوثب لدى التلاميذ خلال مراحل العمر المختلفة.

أما عندما يعرف النمو الحركي كعملية، فإنه يوجه نحو الإجابة عن سؤالين: لماذا، وكيف يحدث التغير في الأداء الحركي؟ ومثال ذلك: لماذا تزيد مسافة الوثب للتلميذ مع زيادة العمر؟ وكيف يتم ذلك؟

* فالنمو الحركي:

هو جزء من النمو العام ويمثل التغيرات في السلوك الحركي للطفل والعمليات المسؤولة لهذا التغير، ويعتبر النضج والخبرة من أهم العوامل التي تؤثر في عملية النمو الحركي، النضج (Maturation) هو تلك العمليات العضوية الداخلية المسؤولة عن النمو (مرتبط بالنمو التكويني) ويتميز بنظام ثابت من التقدم أي أنه لا يوجد اختلاف من حيث التتابع والتسلسل في التغيرات حتى ولو وجد اختلاف في معدل سرعة النمو، النضج لا يتأثر بعوامل الخبرة والتعلم.

الخبرة هي كل ما يكتسبه الفرد من معارف من خلال احتكاكه مع البيئة الخارجية، ويتم ذلك بفضل التعلم الذي يعتبر تغيير في السلوك نتيجة الممارسة أو التدريب وغير ناتج عن النضج أو التعب، أما العلاقة بين النضج والتعلم هي أنه يوجد توقيتا معينا للاستفادة من التعلم، هذا التوقيت مرتبط بعملية النضج، بمعنى آخر أن لكل عملية نمو تكويني توجد فترة محددة ومناسبة يكون فيها الطفل مستعدا للتعلم، فإذا بدأ التعلم إلى حد كبير قبل أو بعد هذه الفترة الحرجة عندئذ يصبح قليل الجدوى ومضيع للوقت.

5. النضج: Maturation

عبارة عن عمليات عضوية داخلية معينة مسئولة عن السلوك أو نموه، وأن هذه العوامل تكون مستقلة عن مثيرات البيئة الخارجية من حيث تأثير البيئة والتعلم، ويتميز النضج بنظام ثابت من التقدم، ربما يكون هناك اختلاف في معدل السرعة ولكن لا يوجد خلاف من حيث التتابع والتسلسل.

6. التعلم: Learning

هو تعديل في السلوك نتيجة الخبرة والممارسة وليس نتيجة عمليات النضج أو التأثيرات المؤقتة. وتوضح العلاقة بين النضج والتعلم في أن هناك توقيتا للاستفادة من التدريب أو التعلم، بمعنى أن التعلم لا يتحقق الغرض منه عندما يكون هناك نقص في النضج.

7. علم النفس الطفل (أو النمو):

يهتم بدراسة نمو الطفل والمراحل المختلفة التي تمر بها عملية النمو المختلفة، فمثل هذه الدراسات تمدنا بكثير من المعلومات التي تجعلنا أكثر قدرة على فهم شخصية الطفل، سلوكه، دوافعه، وتجعلنا أقدر على توجيهه وتربيته.

8. المربي التربوي الرياضي:

ويقصد به العاملون في مجال التنشئة الرياضية للطفل أو التلميذ داخل المؤسسات التربوية في المجتمع وهم بصفة خاصة: مدرس التربية الرياضية، المشرف الرياضي، الأخصائي الرياضي، المدرب الرياضي، الإداري الرياضي.

ولدراسة النمو أهمية بالغة تختلف باختلاف ميدان الدراسة وقد حددها عبد الرحمن عيسوي كما يلي:

* الأهمية التربوية:

حيث أن معرفة خصائص النمو في كل مرحلة تساعد على توفير أنماط النشاط الجسمي والعقلي والاجتماعي التي تتناسب وقدرات الفرد.

* الأهمية العلاجية:

تنتج هذه الأهمية عن معرفتنا بالميول الطبيعية والنزاعات الشاذة في كل مرحلة، فما هو طبيعي في مرحلة معينة قد يعد شاذا في مرحلة أخرى.

* الأهمية العلمية:

وهي تفيد في معرفة الصفات الوراثية والصفات المكتسبة، كما تفيد في تحديد الأعمار التي تظهر وتنضج فيها مختلف قدرات الطفل.

9. وللمو الحركي مبادئ عامة من بينها:

* مبدأ الاستمرارية والتتابع:

بمعنى أن النمو يسير وفق مراحل تتميز كل واحدة منها بسمات وخصائص واضحة، كما تعتمد كل مرحلة على التي تسبقها وتمهد الطريق لظهور المرحلة التي تليها، على سبيل المثال: المشي عند الطفل يبدأ بعد ما يتمكن من الوقوف والمحافظة على توازنه ويمهد المشي لسلوك حركي أكثر تعقيد وهو الجري.

* مبدأ التكامل:

يمثل النمو الحركي عملية متكاملة مع الجوانب الأخرى للسلوك الإنساني، أي أن النمو الحركي والنمو العقلي وكذلك النمو الانفعالي يؤثر كل جانب على الآخر.

* مبدأ اختلاف سرعة النمو:

وجود اختلاف في معدل سرعة النمو البدني والحركي عبر مراحل العمر المختلفة، ومثال ذلك معدل سرعة النمو بالنسبة للطول.

* مبدأ الفروق الفردية:

يختلف الناس فيما بينهم من حيث النمو بصفة عامة أو النمو الحركي بشكل خاص، ويمثل الأطفال العاديين في نموهم الأغلبية وهم في منتصف التوزيع، وهناك أقلية يوجدون في الأطراف سواء بالزيادة أو النقصان، هذا المبدأ مهم جدا بالنسبة لأستاذ التربية البدنية لأن الأطفال موزعون في الأقسام حسب السن الزمني بينما ينبغي التعامل معهم حسب سنهم البيولوجي واختلافهم في سرعة نموهم.

وهناك طريقتين أساسيتين لدراسة ظاهرة النمو عند الإنسان والنمو الحركي على وجه الخصوص وهما الطريقة الطولية والطريقة العرضية، بالنسبة للطريقة الطولية تمكن في متابعة المتغيرات المستهدف دراستها على نفس المجموعة من الأطفال عبر مختلف مراحل نموهم، وتستغرق أحيانا عدد كبير من السنين، أما الطريقة العرضية التي تعتبر الطريقة الأكثر استعمالا تتمحور حول متابعة مجموعات مختلفة من الأطفال في أعمار زمنية متسلسلة، دراسة المتغيرات المستهدفة لمدة زمنية قصيرة نوعا ما ثم المقارنة بين المجموعات لتحديد النمو.

10. وتهدف دراسة النمو الحركي إلى تحقيق أهداف جد هامة نذكر منها:

* **الوصف (Décrire):** وهو معرفة الكيفية التي يسير عليها النمو عبر مختلف المراحل لحياة الإنسان.

* **التفسير (Expliquer):** وهو معرفة العوامل التي تؤدي إلى ظهور النمو في مرحلة من المراحل وتفسيرها.

* **التنبؤ (Prédire):** هو توقع معدل تقدم النمو، وتزداد احتمالات التوقع كلما كان التفسير دقيق ومعرفة جيدة لأسباب حدوث النمو والعوامل المؤثرة فيه.

* **التحكم والضبط (Contrôler):** التمكن من تحقيق التغيرات التي يرغب فيها، وإيقاف أو تقليل التغيرات التي لا يهتم بها.

11. نظريات النمو:

هناك عدة نظريات تهتم بدراسة وتفسير ظاهرة النمو عند الإنسان، وتختلف هذه النظريات من حيث درجة الاهتمام ببعض مظاهر السلوك، ومن أهم هذه النظريات نجد:

* نظرية التحليل النفسي "لفرويد" (Freud):

التي تفترض وجود دوافع أساسية تسمى الغرائز التي يجب إشباعها في كل مرحلة من مراحل النمو، وركز "فرويد" عن الغرائز الجنسية لذلك سميت نظريته بالنظرية النفسية الجنسية، كما وصف أربع مراحل لنمو الطفل حتى سن البلوغ.

* نظرية "أركسون" (Erikson):

أدخل بعض التعديلات لنظرية التحليل النفسي مركزاً عن تأثير البيئة الاجتماعية عن شخصية الطفل، وسميت نظريته بالنظرية النفسية الاجتماعية وقسم "أركسون" مراحل النمو الإنساني إلى ثماني مراحل.

* نظرية "بياجيه" (Piaget):

حول النمو العقلي التي اهتمت بالجوانب الحسية المعرفية، واقترح "بياجيه" أربع مراحل أساسية متتابعة من الولادة إلى المراهقة.

* نظرية "جيزل" (Gesell):

الذي فسر ارتباط نمو الطفل بالنمو الحركي، وسمى نظريته بنظرية النضج، ويرى مؤيدو هذه النظرية أن النمو يحدث بطريقة ثابتة ومنظمة داخلية ومتدرجة وأن العوامل البيئية تؤثر بنسب محدودة وتكيف النمو ولكنها لا تولده.

- رغم كل هذه النظريات فلا يمكن تفسير النمو الشامل بصفة دقيقة لأنه لا توجد نظرية يمكن الاعتماد عليها في تفسير كل الظواهر النمائية في إطار موحد، وانطلاقاً من فكرة أن الإنسان وحدة موحدة لا تتجزأ من حيث الجوانب البدنية والنفسية والعقلية لذلك يجب الاهتمام بالنمو بنظرة متكاملة وأن النمو البدني والحركي يعتبر جانباً بالغ الأهمية لفعاليته الوظيفية في عملية النمو، للإشارة أنه رغم اختلاف النظريات فإنها تهتم بظاهرة اللعب والنشاط الحركي باعتباره من العوامل الهامة لتدعيم الناحية الوظيفية لسلوك الطفل، ذلك يعني أنها تناولت النمو الحركي بصفة غير مباشرة. والشكل الآتي يعبر عن تداخل بين مظاهر النمو المختلفة للفرد.

12. مراحل النمو الحركي:

إن فهم السلوك الإنساني لا يمكن فهمه بصورة صحيحة إلا في ضوء فهم مراحل نمو الفرد وتطوره، وقد تبين أن لكل مرحلة من هذه المراحل خصائصها والتي يشترك فيها كل الأشخاص مهما اختلفت أجناسهم، ولقد نشأ علم نفس النمو لكي يدرس سلوك الفرد في مراحل العمر المختلفة على ضوء استعداداته الفطرية والعوامل البيئية التي تهيئ لتلك الاستعدادات أن تقوم بوظائفها على أفضل وجه، ولقد تطور علم النفس مؤخراً واستطاع بجهود العلماء أن يدخل جميع ميادين الحياة، ويظهر هذا من خلال تعدد فروع علم النفس، مثل علم نفس النمو، علم النفس التربوي، علم النفس الرياضي.

اهتم "جالاهو" (Gallahue, D) سنة 1982، بالجانب الحركي في عملية النمو حيث قدم إطار نظري متكامل كنظرية لتفسير النمو الحركي، وحدد أربع مراحل رئيسية وهي:

* مرحلة الحركة الانعكاسية (من الميلاد إلى حوالي سنة واحدة):

تعتبر ميكانيزمات أولية لضمان بقاء حياة الرضيع، هذه الحركات تندرج ضمن الفعل اللاإرادي يتمثل في سلوكيات انعكاسية بسيطة مثل انعكاس المص وأخذ الأشياء غلى الفم، المسك، انعكاس القوام. مرحلة الحركة الأولية (من سنة إلى حوالي سنتين): تمثل هذه الحركة الشكل الأولي للحركة الإرادية وتتحدد أساسا وفقا لعامل النضج، تشمل حركات الاتزان، حركات التحكم والسيطرة، وحركات التحرك المكاني (Locomotion).

* مرحلة الحركات الأساسية (من 2 إلى 7 سنوات):

بالرغم أن النضج يعتبر العامل الأساسي في نمو القدرات الحركية الأساسية إلا أن في هذه المرحلة تؤثر عوامل أخرى ذات أهمية بالغة مثل فرص الممارسة والتعلم، وتنقسم هذه المرحلة إلى قسمين هامين:

* المرحلة البدائية (من 2 إلى 4 سنوات):

تتميز هذه المرحلة بالتحسن في الأداء من حيث التحكم والسيطرة والتوافق لعناصر الحركة من حيث الإيقاع الزمني والمكاني، لكنها تتميز أيضا بالإسراف في بذل الجهد والطاقة، وتدخلها حركات أخرى غير ضرورية (Mouvements Parasites) وتعتبر هذه المرحلة هامة جدا بحيث أثبتت بعض الدراسات أن الأطفال الذين أتاحت لهم فرص الممارسة والتعلم الجيد لديهم فارق واضح في أدائهم للمهارات الأساسية مقارنة مع الأطفال الذين لم تتح لهم هذه الفرصة.

* مرحلة النضج (من 4 إلى 7 سنوات):

تتميز هذه المرحلة بالتوافق والسيطرة الجيدين لأداء المهارات الأساسية، وفيها يبلغ الطفل النضج لمرحلة الطفولة المبكرة، فإذا توفرت الظروف للتعلم الصحيح والممارسة المستمرة فإن الطفل يكون في استعداد جيد لتحقيق متطلبات النمو الحركي للمرحلة التي تليها وإلا سوف يكون له أثر سلبي في نموه الحركي.

* مرحلة الحركات الرياضية (من 7 إلى 13 سنة فأكثر):

هي امتداد لنمو المرحلة السابقة بحيث كان تعلم الحركة يمثل هدفا في حد ذاته أما في هذه المرحلة أصبح وسيلة تستخدم في أنشطة وألعاب متنوعة وعلى الطفل أن يكتسب التزاوج فيما بين المهارات الأساسية (مهارات الانتقال، مهارات التحكم والسيطرة، مهارات الثبات والاتزان) حتى يمكن توظيفها كمتطلبات لأداء الأنشطة الرياضية، وتنقسم هذه المرحلة إلى ثلاثة مراحل فرعية وهي:

* المرحلة الانتقالية (من 7 إلى حوالي 10 سنوات):

يكون الطفل مستعدا لأداء المهارات الحركية العامة وهي أفضل من الحركات الأساسية من حيث الشكل والدقة والتحكم الحركي، كذلك إمكانية ازدواج عدد من المهارات العامة، وتعتبر المرحلة الانتقالية فترة خصبة للمهتمين بتربية الطفل حركيا حيث يتميز الأطفال بالنشاط والحيوية وهنا تظهر أهمية دور المربي الرياضي لإتاحة الفرصة للأطفال لتطوير قدراتهم من خلال تنويع الأنشطة، لكن يجب عدم حث الطفل على التخصص في نشاط معين لأن التبكير بالتخصص في هذه المرحلة له آثار سلبية للمرحلة التالية للنمو الحركي.

* المرحلة النوعية (من 10 إلى حوالي 13 سنة):

فضلا عن تنوع واتساع الخبرات الحركية التي يواجهها الطفل، تشهد هذه الفترة تغيرات هامة في نمو المهارات الرياضية بفضل مساهمة القدرات المعرفية والوجدانية، وبما أن لكل نشاط رياضي له خصائص يتميز بها لذلك يتوقف النجاح في تخصص معين على كل من الاستعداد البدني والنفسي لذلك نلاحظ أن الطفل في هذا السن يفضل ممارسة بعض الأنشطة الرياضية على غرار البعض الآخر، وهنا يكون دور المربي الرياضي في كشف وتوجيه المواهب الرياضية.

* المرحلة التخصصية (من 13 سنة فأكثر):

تتميز بالتخصص في نشاط رياضي معين، وتتخذ الممارسة أشكال مختلفة من حيث مستويات المنافسة أو بغرض الترويح، المهم أن هذه الممارسة تكون مستمرة مدى حياة الإنسان لتحقيق الأهداف العامة لعملية التربية البدنية وهي تحسين صحة الفرد وتطوير قدراته الحركية من أجل حياة أفضل. وسنستعرض التقسيم الذي حدده "جاليهيو"، إذ حدد مراحل التطور الحركي فيما يلي:

شكل يوضح مراحل التطور الحركي

